

تطبيقات اللسانيات العرفانية على مستوى النظام اللغوي الحديث للعقل البشري من الناحية الذهنية والإدراكية

Applications linguistics formations at the level of the modern linguistic system of the human mind from a mental and perceptual standpoint

* حمزة بريك

جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف، مخبر التراث والدراسات اللسانية-الطارف (الجزائر)

brik-hamza@univ-eltarf.dz

تاريخ الإرسال: 2021/05/01	تاريخ القبول: 2021/05/21
---------------------------	--------------------------

الملخص:

مسعانا من خلال هذه الدراسة هو الوقوف على تجليات الممارسة التطبيقية العرفانية على مستوى المنظومة الفكرية واللغوية للعقل البشري، وتقويمها تقويماً لسانياً سليماً، باعتبار أن اللسانيات العرفانية تشتغل في كثير من الأحيان على علاقة اللغة بالذهن، والتي تعبر في كثير من الأحيان على الوجود الإنساني، حيث تعمل اللسانيات العرفانية على ربط مختلف العلوم الإنسانية والتجريبية بواسطة آليات حوسبية إجرائية وتطبيقية رفيعة وحديثة المستوى بصفة شمولية.

ومن نتائج البحث المتوصل إليها نذكر أبرزها: ارتبط مفهوم العرفانية باشتغال الذهن والذكاء ومختلف العمليات الإدراكية والتصورات العقلية، وتعد الملكة اللغوية داخل التصور الذهني الدماغى بتعقيداتها وتجردها مركز العمليات العرفانية حيث تطبقها اللسانيات الحديثة لتحديد طبيعة كل القواعد على مستويات اللغة، ولتحقيق كل المبادئ العرفانية لابد من تثبيت هذه المفاهيم كلها بالنظام الحوسبي.

الكلمات المفتاحية: العرفانية؛ المنظومة اللغوية؛ الذهن؛ الإدراك.

Abstract

Our endeavor, through this study, is to identify the manifestations of secular practice at the level of the intellectual and linguistic system of the human mind and to evaluate it in a proper linguistic form, Considering that cognitive linguistics often operates on the relationship of language to the mind, Which often expresses human existence, and works to connect the various human and experimental sciences through computational, procedural and applied mechanisms of high and modern level in a comprehensive manner.

Among the results of the research, we mention the most prominent of them: The concept of cognition has been associated with the functioning of the mind, intelligence and various perceptual processes and mental perceptions, The linguistic queen within the mental-brain perception, with its complexities and abstraction, is the center of mystical processes, where linguistics applies it to determine the nature of all the rules at the levels of language, In order to achieve all the secular principles, all these concepts must be installed with the computing system.

Keywords: Citizenship; Linguistic system; Mindfulness; perception.

* المؤلف المرسل: حمزة بريك

مقدمة:

تعد تقاليد البحث الجديدة في التنظير اللساني الحديث ونمذجته بواسطة النظريات اللسانية الحديثة عاملا مهما في فهم التوجهات الألسنية العرفانية، إذ شكل ظهورها انعطافا مركزيا على مستوى خصائص اللغة الطبيعية، وتعد صياغة النظام الهندسي لمكوناتها على مستوى الملكة اللغوية جانبا مهما في التفسير اللغوي على مستوى الأطر الفكرية، والتي في جوهرها تعتبر اللغة عضوا ذهنيا متحيزا في الدماغ، ينبغي ألا تنفصل دراسة خصائصه عن الخصائص المفترضة لاشتغال البنيات العضوية.¹

وكما نعلم فقد أضحت اللسانيات العرفانية اليوم محل تقاطع علوم مختلفة كاللسانيات وعلم النفس والفلسفة والأنثروبولوجيا، وعلوم الدماغ وغيرها، ومن هذا المنطلق لنا أن نتساءل عن أهم التشكلات المفاهيمية العرفانية من الناحية اللغوية على مستوى التصورات الذهنية والإدراكية داخل التركيبة البشرية لعقل الإنسان؟ وكيف تحدث التفاعلات العرفانية بواسطة تلك المفاهيم وتندمج فيما بينها لتقدم لنا في الأخير منظومة لغوية ناجحة بكل المقاييس؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نوظف في الدراسة منهجا وصفيا تحليليا، يعتمد على دراسة المفاهيم المتعلقة بالمجالات العرفانية، وشرحها وتفسيرها وتبيان علاقتها بتشكيل الظاهرة اللغوية، وذلك اعتمادا على هيكله لسانية مبنية على مبادئ وأسس علمية متينة، وتقديمها بشكل تيسيري مفصل للمتلقي والباحث العربي.

فجاءت هذه الدراسة لعرض الإطار العام الذي انبثقت منه اللسانيات العرفانية والكشف عن أهم التشكلات المفاهيمية لها داخل المنظومة اللغوية من الناحية الذهنية والإدراكية على مستوى العقل البشري، ودراستها لسانيا وتقويمها ووضعها في الإطار الصحيح للباحثين في مجال البحث الألسني وذلك بطريقة تخضع للعقل والمنطق، وتعمل على تيسيرها توجهات علمية وموضوعية ممنهجة دقيقة.

1. اللسانيات العرفانية مفاهيم في طور التشكل:

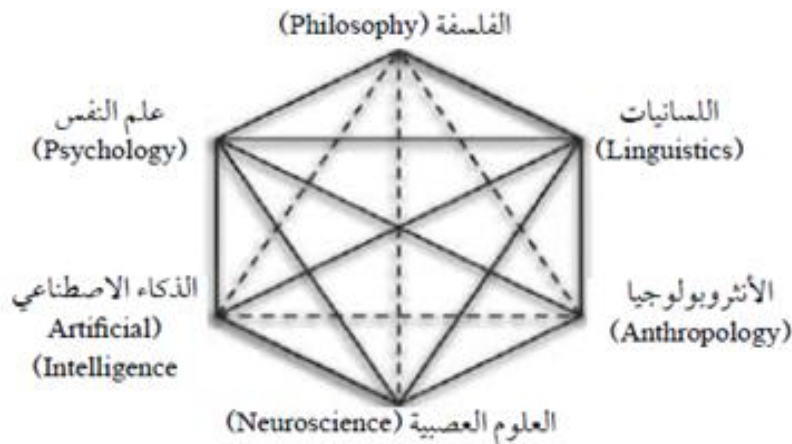
العرفانية في الأصل «اسم الحدث من (عرف، يعرف) يدل على العلم بالشيء أو الإقرار بالمعروف وعدم نكران الجميل، ثم استعمله أهل التصوف لما يكون من معرفة غير آتية عن طريق العقل ولا مثبتة باستقلال وبرهان فكان من آثار هذا الاستطلاع إثراء العربية بالتفريق بين المعلومات المختزنة في الذهن».²

والعرفان: «مصدر من عرف الشيء وقد استعمل الشيء، وقد استعمل قديما بمعنى العلم والعرفانية عند أهل النظر نهج في التفكير، عُرف منذ منتصف السبعينات من القرن العشرين ولعل بواده كانت في علم النفس والفلسفة، ومنها سرت مبادئه إلى علوم أخرى، منها اللسانيات فاعتبره بعض المفكرون علما ذهنيا جديدا وقُدّم على أنه اشتغال الظواهر المدروسة، فلا يعترف بصرامة الفصل بين العلوم وينشد العتق من الالتزام بالحدود الوضعية للدراسة العلمية».³

لذا فالعلوم العرفانية «جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب (علوم الدماغ)، واللسانيات والأنثروبولوجيا وتدرس العلوم العرفانية الذكاء عامة، والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله، وتعنى كذلك بمنولته، وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنثروبولوجية»⁴.

فالسانيات العرفانية تشتغل في كثير من الأحيان على علاقة اللّغة بالذّهن وذلك من خلال شرح جميع العمليات اللّغوية، من أجل الاقتناع بهيكله الظاهرة اللغوية المراد دراستها وشرحها وتفسيرها وعلاقتها بمختلف العلوم الإنسانية والتجريبية (علم النفس، الأنثروبولوجيا، الذكاء الاصطناعي، الفلسفة، الدراسات اللغوية والأدبية).

لذا نجد «أنه قد نتج عن تقرير "سلوان" Silwan بلورة نموذج تخطيطي للحقول المعرفية التي يتشكل منها العلم العرفاني العام، اشتهر باسم سداسي (Hexagon) العلاقات العرفانية البينية بين العلوم»⁵:



سُداسيّ العلاقات العرفانية البينية كما في تقرير «سلوان» Sloan ١٩٧٨

يمثل المخطط جميع العلوم الإنسانية والتجريبية ومدى قوة التلاحم والارتباط الموجود بينها، حيث تمثل النظرية العرفانية ركيزة مهمة تجمع بينهم وفق طريقة شمولية، حيث لا يمكن الفصل بين هذه العلوم سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وتأكيدا على هذه التوجهات العرفانية، نورد في هذا السياق إشارة " ميرل " (Merle) لهذه الأفكار العرفانية بقوله: «تستخدم المفاهيم التي طورتها المعلوماتية لنمذجة وظائف الدماغ التي كشف عنها علم الأعصاب، وبطريقة مماثلة، كان فرع اللسانيات والمعلوماتية مرتبطين من خلال اللسانيات الحاسوبية، واتصلت اللسانيات بعلم النفس من خلال اللسانيات النفسية، وارتبطت الأنثروبولوجيا بعلم الأعصاب من خلال الدراسات المتعلقة بتطور الدماغ»⁶.

لقد ارتبط مفهوم العرفانية أيضا باللسانيات الإدراكية والتصورات الذهنية فقد أورد تشمسكي (Chomsky) في حديثه عن هذا السياق أن «نمو اللغة عند الإنسان شبيه نوعا ما بنمو الجهاز الجسدي وتحدهه العوامل التكوينية، كما يؤكد على أن دراسة اللغة تساعد على دراسة قضايا

الإدراك عند الإنسان ويتطرق إلى التداخل الحاصل بين اللغة وبقية الأجهزة العقلية»⁷ وهذا انطلاقاً من المبدأ الرياضي، الذي من خلاله يبدع المتكلم، وذلك لامتلاكه قدرات إدراكية وطاقات كامنة مخزنة في العقل.

لذا «فالإدراك وظيفة الوعي، ومن ثم فإن العامل الأول الذي يتضمنه هو حالة الوعي التي يتم بها الإدراك، ومن الملاحظ أن الإقرار العام المشترك للنوع الإنساني قد اتفق على أن بعض المشاعر إدراكية وبعضها الآخر وقائع أو حقائق فحسب ذات وجود ذاتي أو ما يمكن تسميته تقريباً وجوداً مادياً طبيعياً»⁸، فالعلاقة التي تربط اللغة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة بالعقل علاقة متكاملة إلى أبعد الحدود، ولا يمكن فصلهما، باعتبار أن اللغة تؤثر في كثير من الأحيان على أنماط التفكير.

الجدير بالذكر أن «اللسانيات الإدراكية قطعت شوطاً بعيداً منذ ظهور أرسطو، ومروراً بجهود القرن التاسع عشر في الدلالات الزمانية، وإحياء الاهتمام بالبلاغة، والوظائف الاجتماعية للذهن، انطلاقاً من الأعمال في الفنولوجيا، وصولاً إلى التداوليات عبر التركيب والدلالات من الآنية إلى الزمانية، وترتبط بعلم نفس النمو لدراسة الاكتساب اللغوي وترتبط بعلم النفس العصبي وعلم الاجتماع لدراسة التفاعل بين العقل واللغة»⁹، فاللسانيات الإدراكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجميع التفرعات المرتبطة بالنشاطات الفكرية والحسية، وبواسطتها يكتشف الإنسان العالم الذي يحيط به في جميع المجالات المتعلقة بالفكر الإنساني.

إن مجمل الأنساق الإدراكية في الحيز الإنساني هي «ما تسمح لنا بتكوين الفكر المؤسس على ملاحظة العالم (بما في ذلك احساسنا الداخلي بأجسادنا)، ومن جهة أخرى فإننا باستعمال هذا الفكر دَخَلْنَا لإنتاج اللغة، ويمكن أن نتحدث على ما نراه ونسمعه ونحسه، وكذلك يمكن لإدراك اللغة أن يوجه الانتباه إلى جزء من الحقل الإدراكي»¹⁰، ومن هنا يكون تصور الفكر عبر البنية التصورية التي ترتبط بين الصورة التي يتخذها الوعي والصورة اللاواعية المسؤولة عن الفهم داخل العقل البشري.

فالفرق الأساسي بين «المعرفة المعقولة الناتجة عن الحضارة والتفكير الواعي، والعرفان الطبيعي المترسخ في خصائص الدماغ المجاور للوعي والإدراك والصالح موضوعاً للدراسة العلمية هو التمييز المقصود باختيار مصطلح العرفان في مقابل المعرفة، لنقل المقابلات الأجنبية بين (Knowledge, Connaissance Cognition)، وبهذا التمييز يستقر في العلم كل معرفة قائمة على عرفان، ولا يقوم العرفان على معرفة، ومعناه أن العرفان أشمل»¹¹، فيمكن أن نلاحظ باستقرائنا للنظريات اللسانية وخصوصاً أشهرها أن البعد المعرفي قد يقارب موضوعياً، وقد يقارب تجريبياً ويشغل حيزاً في النظام العرفاني.

يعد الجانب المعرفي «عنصر مشترك بين جميع البشر، ويمكن أن نفترض أن الجانب المعرفي عند الإنسان هو ذلك العنصر الذهني باعتباره القاسم المشترك بين بني آدم، وبهذا تكون اللغة، أي ما نقوم به من عمليات ذهنية، وتكون الرموز اللغوية تمثيلات داخلية لحقائق خارجية»¹²، فالجانب

المعرفي له فاعلية مركزية داخل المنظومة اللغوية في البعد العقلي والتجريبي من خلال استقراء مختلف النظريات الدلالية في الحقل الدلالي لتلك الأنظمة العرفانية.

هذا الإطار العرفاني «نستعمل فيه عشرات إن لم نقل مئات المقولات، مقولات في نطق الأصوات والكلمات والجمل وال فقرات والخطابات، فلا يمكننا عمل أي شيء في عالمنا الفيزيائي وفي مجتمعنا وفي حياتنا الفكرية دون مقولة، لذلك فإن ادراكنا لكيفية المقولة هو أمر ضروري لفهم كيفية تفكير عملنا، وإن المقولة أمر مركزي في فهم عملنا الإنساني»¹³، فيسعى البحث في إدراك الكلام إلى فهم كيف يتعرف المستمعون إلى الأصوات الصادرة من الكلام، وذلك لاستخدام هذه المعلومات لتوضيح اللغة المنطوقة، بواسطة عملية التفكير على مستوى اللاوعي.

وأقدم هنا نموذجاً كي لا يبقى هذا الإقرار مشكوكاً في أمره، من خلال «استعمال جاكندوف (Jackindoff) الزوج (ذهن و دماغ)، حيث يؤكد على التمييز بينهما لاعتقاده أن الذهن والفكر شيء واحد أو لعجزه عن ضبط دور كل منهما في توليد الأبنية التصورية، بل للتعبير عن موقف نظري محايد، في انتظار مزيد من الحجج والبراهين، بين من يدافع عن الشبكة العصبية باعتبارها الحامل الأساسي للعملية الفكرية ومخزن معلومات المعالجة، وبين من يدافع عن الذهن باعتباره بنية مجردة»¹⁴، فالبنية العميقة المسؤولة عن جميع العمليات العقلية هي بنية فطرية، تتخذ من النظرية اللغوية مرتكزا لها بنحو غير مسبوق للتحكم في الذات البشرية من الناحية الإدراكية والحسية.

ونفسر ذلك تفسيراً منطقياً «إذا كانت أعلّق عناصر المدلول بالذهن والنفوس مما يتعلق بشكل عبّر عنه بالرسم، يلجأ الإنسان إلى بناء تمثال للمعبر عنه، حيث يُظهر فيه خواصه عليه بالنسبة لأبناء بيئته، وقد تكون الحركة هي المدرك المحتاج إلى التفاهم بشأنه، عندما يسير الإنسان إلى إعادة إنتاج حركة مماثلة بأعضاء الجسم أو بأدوات مادية»¹⁵، وعليه لابد من ملاحظة مهمة وهي أن جسد الإنسان يستجلب صورة المدلول إلى الذهن بشكل واضح ومحدد من ناحية ترتيب الوحدات المركبة للمعاني في عقل الإنسان.

إلا أن «المدرك من المدلول يختلف من قوم إلى آخر ومن شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر في حين لا تماشي العبارة هذا التغير، بل كثيراً ما تُلزم المدرك الجديد بالتصويت بها مع الدال إلى الإشارة التي تتوارى تاركة لها وحدها وظيفة البيان»¹⁶، وما يجب أن يركز عليه «القارئ المبتدئ أن الأمر لا يتعلق باتجاه لساني جديد مجاوز لتقديم فحسب، ولا بما هو أكثر تطوراً أو أقل قيمة، ولا بنظرية أسوأ إنما الأمر أن اللغة لتعقيدها وصعوبات حصرها تحتاج إلى مقاربات مختلفة، وهي مقاربات وأفكار إن ألحت على وجوب اختلافها، فكثيراً ما انتهت إلى ترسيخ أفكار مشتركة بينها، تعبر أكثر من غيرها على تقدم الإنسانية في فهم اللغة البشرية»¹⁷.

بهذه الكيفية يسعى الدماغ لشرح الفهم والادراك التام لجميع الأطر اللغوية التي تحيط بنا وهذا أمر حتمي في جميع العمليات الشعورية، أو اللاشعورية على مستوى البنيات الذهنية، وذلك لتحقيق معظم الأهداف بطريقة سهلة وغير مكلفة.

إن التركيبة اللغوية للإنسان «تخدم أغراض الإرساليات المركبة من نسق تأليفي للأفكار أيضا، فالجملة تنقل معنى مبنيا تأليفيا من معاني كلماتها، ومن ثم فإن جزءا من هذا النسق المباشر التأليفي تمثله قواعد الأفكار»¹⁸، فارتباط النظام اللغوي بدلالة الأشياء ومسمياتها وعلاقتها بالنحو التام (يحمل إفادة)، يجعلها تعبيراً ذهنياً تتم ترجمته إلى كلمات تمتلك معنى، فهي أداة لإنتاج الأفكار والتعبير عنها.

ما نستخلصه هو أن لنا طريقة نجزي بها العالم، وهذه الطريقة مرتبطة سببياً بوسائلنا الإدراكية والمعرفية وكما يقول جاكندوف (Jackindoff): «فالكيفية التي بنيت عليها ذواتنا البشرية لتأويل العالم – أي القدرة التعبيرية لتمثالاتنا الداخلية – هي التي تحدد ما تصفه اللغة وما تقدمه، إن الأمر لا يتعلق بما إذا كانت كيانات معينة تبني استجابة لمثالات خارجية، أو أنها من الثمار الخالصة لخيالنا، إننا نتصرف كما لو كانت موجودة بسبب الكيفية التي نحن مكونون عليها»¹⁹، فالمعرفة تظل نسبية، لارتكازها على الذات البشرية، وارتباطها الدائم بالتجربة الإنسانية، ذات الخصوصية النسبية، فهي عملية تفاعل تحتكم للمنطق، وتعمل على الربط الذكي للوقائع من خلال جميع الشروحات والمسلمات اللغوية يمكن تمييز نوعين من الأنشطة الفكرية يدور حولهما مفهوم العرفان هما:²⁰

- **نظرية المعرفة:** وهي مرتبطة بصناعة العلوم، وهي نظرية ذات أصول عقلانية، وذات أبعاد فلسفية ومنهجية، أفرزت النظريات الاستمولوجية المعاصرة، ومناهج حديثة في التفكير العلمي والمنطقي.

- **النظرية العرفانية:** اتجاه فكري أقرب إلى أن يكون مشروع بحث في العلوم الطبيعية لأنه ناتج عن تطور البيولوجيا، ولا سيما علم وظائف الأعضاء، وتقدم الباحثين في أغوار الدماغ، وما نتج عنه من آمال في الوظائف العليا كالإدراك والذاكرة واللغة وغيرها. إذن فالإدراك المعرفي والعقلاني للإنسان وما يؤثر فيه من الأحداث والعمليات اللغوية التي تحدث حوله يحس بآثارها، فالتعبير عن الأفكار والمشاعر التي يعطيها أو يرافقها حاجة تشمل التفاهم الاجتماعي.

2. تطبيقات العرفانية في النظام اللغوي على المستوى الذهني والإدراكي للعقل البشري:

يكمن البحث في التطبيقات المفاهيمية العرفانية على المستوى اللغوي بواسطة مجموعة من العمليات الذهنية والإدراكية تجري على مستوى الدماغ البشري، وهنا نطرح العديد من التساؤلات: ماذا يعرف الشخص عندما يتكلم بلغة ما (مخصوصة)؟ وكيف اكتسب هذا الشخص تلك المعرفة في الاستعمال؟ كيف تطورت خصائص الذهن في علاقتها بالملكة اللغوية في مستوى النوع البشري؟ كيف تتجلى هذه الخصائص في نشاط الدماغ وميكانيزماته؟ وقد اجتمعت هذه المسائل في المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستعمالها.²¹

تسعى اللسانيات العرفانية في «إطار تصور عام للمقاربة العلمية الهادفة لتفسير عدد الظواهر المدروسة باعتماد استنتاجات صورية قائمة على عدد محدود من الفرضيات القادرة على تغطية أكبر عدد من المعطيات والوقائع»²²، فالمقاربة العرفانية تسعى لوصف وتحليل وتفسير جميع الظواهر اللغوية عن طريق التخمين وتحديد المعطيات والتصورات والتجارب انطلاقاً من الدراسات الميدانية والتطبيقية على أرض الواقع.

فهدف اللسانيات العرفانية في الغالب هو «أن تصف -في صيغة البنية- ما يعرفه الكائن البشري (دون وعي منه في الغالب) معرفة تجعله قادراً على تكلم لغة طبيعية»²³، فتوليد الألفاظ يكون عن طريق الاشتقاق بين جميع الكلمات بطريقة لا إرادية فطرية في النظام العرفاني على مستوى العقل البشري.

لذا نشير «أن كل ما هو نحوي له أساس عرفاني، ومهمة عالم النحو تتمثل أساساً في السعي إلى الكشف عن الأسس التي تسمح بالتمييز بين مختلف الأبنية الرمزية فصحيح أن السلوك الصرفي والتركيبى لوحده ما يسمح بالتعرف على المقولة الصرفية، والنحوية التي تنتهي إليها تلك الوحدة، إلا أن هذا السلوك ليس إلا أمانة وعلامة تقويم قيمة تلك العبارة»²⁴، لهذا فنحن لا نتعامل مع الموجودات كما هي، بقدر ما نتعامل مع منظومة لغوية لها قواعدها التي تركز عليها، تنتج لنا انسجاماً تلقائياً بين الصورة السمعية والصورة الذهنية (دال- مدلول).

بعبارة أخرى «الوصف في صيغة البنية ضروري بالنسبة للنظرية النفسانية، ولكن الاهتمام بالعبارات الاجرائية حجب أهميتها، فتبرير هذه الصيغة على أسس اللغة الباطنية يمكن حينئذ من وجهة نظر العالم النفساني أن ينظر إلى هذا العمل باعتباره محاولة لضبط الإكراهات البنيوية على النظرية العرفانية»²⁵، فينتج من أنحاء اللغات الخاصة نحو كوني، ذلك المظهر من القدرة اللغوية داخل النظام العرفاني المرتبط بالفلسفة التقليدية وعلم النفس المتجسد في الملكة اللغوية.

أما في الجانب المتعلق بكيفية معرفة الشخص لتلك المعرفة «فالمفترض في نظرية النحو الكوني وجود حالة بدائية فيها قدرة على اكتساب اللغة المضمره أي عدد من الوسائل التي يجهزها الذهن فطرياً أو وراثياً وتشتغل منذ بداية التعرض للأقوال والعبارات لاستخلاص النحو من الكلام المسموع في المحيط الاجتماعي»²⁶، فالكسب وتعلم القواعد النحوية للغات البشرية يمكن تعلمها بدون تدريس وتنمو مع نمو الإنسان كما ينمو الجسد لأنها متجذرة في الدماغ البشري للإنسان.

إن التغير الرئيسي الذي حصل في المنظومة اللغوية يتمثل في «التغير من تركيز الاهتمام على السلوك ومنتجات السلوك إلى التركيز على نظام المعرفة الذي يكمن وراء استعمال اللغة وفهمها (1986)، إنه التركيز على دراسة معرفة الإنسان بلغته بدلاً من وصف وتحليل ما ينطقه الناس وفق اجراءات محددة»²⁷، فالمعرفة الإنسانية اللغوية الكونية الشاملة هي التي توضح معالم اللسانيات الحديثة وهذا منطلق من منطلقات المشروع النحوي العرفاني.

لذا «فالنحو في هذه النظرية ليس نشاطاً مصنفاً تطبق فيه اجراءات التقطيع والاستدلال على العينات اللغوية، بل هو نظرية صورية استنباطية تستنتج الجمل النحوية»²⁸، فهذه النظرية تتبنى

المفهوم العقلاني داخل النظام العرفاني للمعرفة العلمية وتعتني بالنحو أي الآلة الصورية داخل ذهن الإنسان.

حيث تتمثل المعرفة العقلية التي تتجسد في الذهن/الدماغ والتي تعد «عضوا ذهنيا ونظاما معقدا من المكونات المتفاعلة منها الملكة اللغوية، وهو نظام خاص بالجنس البشري لا مثيل له عند سائر الأجناس ومتوفر عند جميع أفرادها توفرا واحدا، وعندما يحدث الاتصال ما بين هذه الملكة والمعطيات (الكلام الجاري في محيط الطفل الاجتماعي) تنتقي هذه الملكة اللغة العربية مثلا - أو غيرها من اللغات»²⁹، فالمعرفة العقلية في كثير من الأحيان تتبنى الجانب الحدسي في اختيار جميع الكلمات التي يتخذها الطفل في بيئته التي يعيش فيها.

الجدير بالذكر «أن نعرف كيف يتصرف الطفل ليتعلم لغة خاصة بسرعة نسبيا انطلاقا من قرائن جزئية نسبيا، إذ يمكن للمرء أنذاك أن يزعم أن الاختبارات التي يتوجب على متعلم لغة من اللغات أن يقوم بها محدودة نسبيا، ومن ناحية أخرى يجب أن تكون الاختبارات لمتعلم لغة من اللغات كافية بالطبع، لتمييز كل اللغات المعروفة عن بعضها البعض»³⁰.

هنا تُطرح فكرة جد مهمة تخص جميع مستعملي اللغة، وهي متمثلة في الملكة اللغوية داخل التصور الذهني الدماغى بتعقيدها، وتجردها وتطبيقها اللسانيات داخل الأنظمة العرفانية لتحديد طبيعة كل القواعد على مستويات اللغة في الدرس اللساني.

الإطار التطبيقي الذي تستعمل فيه اللغة «يعبر عن تنظيمات معرفية، تتعدى الكفاية اللغوية باعتبار أن نظرية الأداء الكلامي تحاول وضع نماذج متطورة تتضمن القواعد، وبنى معرفية أخرى وتتناول بالبحث أبعادا مختلفة نذكر منها المسائل التالية: ملائمة الكلام للظروف، سهولة الفهم وحقيقة الكلام، سلامة الكلام، كما أنها تخضع لمبادئ خاصة بالبنى المعرفية عند الإنسان»³¹ فمقتضى الكلام والبحث عن الحقيقة، ومعالجة أمراض الكلام جانب مهم في كيفية استعمال اللغة وتوجيهها توجيها دقيقا.

كثيرا ما يتشابه المفهوم الاصطلاحي للبنى المعرفية عند "لانقر" Langer مع مصطلح المدلول أو المدلولات وذلك «للإشارة للأبنية الدلالية مهما كان حجمها، ويقع ضبط خصائص هذه الأبنية بالاعتماد على المجالات العرفانية التي تحيل عليها، فالمجال الدلالي مفهوم واقع التّواضع عليه، وذلك للإشارة إلى كل ما قد يكون مجرد تجربة حسية أو حتى نظاما كاملا من المعارف»³² فجميع الحقول الدلالية المتفق عليها على مستوى المعرفة اللغوية توجهها الأطر العرفانية وتطبق على أرض الواقع بطريقة دقيقة.

ومن هنا جاء التقسيم الدلالي للعبارات إلى نوعين مركزيين: «مدلولات اسمية ومدلولات علائقية، والفرق بين النوعين لا يكمن في المضمون فحسب، بل يتمثل في طريقة التشكيل العرفاني للمضمون والتنظيم الذهني الدلالي، فمثلا عبارتا " يكتب " و" كتابة " لهما نفس المضمون الدلالي ما دامتا تشتملان على نفس المضمون من أشياء وعلاقات إلا أنهما تختلفان في العمليات العرفانية»³³،

وعليه فالبنى المعرفية تتداخل مع المدلولات والأبنية الذهنية في الدماغ من خلال عملية التفكير المنطقي من الناحية الملموسة أو الحسية داخل المنظومة اللغوية العرفانية. وهذا ما انطلقت منه اللسانيات العرفانية في علاقتها بالدماغ وتطورها من خلال طورين جوهريين:

- **الطور الحاسوبي:** ينتج عن تصور العرفنة على أساس معالجة المعلومات، وما تفعله العرفنة يتمثل في تمكين الفرد من السلوك الذكي من قبيل حل المشاكل وفهم الأشياء، فتشتغل العرفنة اشتغال الحاسوب حيث تشقّر الحاسوب في شكل تمثيلي رمزي، حيث تعمل قواعد تشبه الخوارزميات في لغة البرمجة الحاسوبية، إنه تصور يقوم على استعارة أن الذهن حاسوب يعمل بتلك الآلية الحاسوبية، هذا الأمر فيه نظر لأن الدماغ تختلف عن الحاسوب³⁴، فاللغة في كثير من الحالات تخزن في الدماغ حسب العمليات الحوسبية وذلك في شكل قوانين حساسة تحددتها الأنظمة الحاسوبية.

- **الطور الدماغي:** يقوم على التوجه إلى الدماغ نفسها بوصفها تمثل الجانب العصبي فوجه النظر إلى دور العرفنة في معالجة الأشياء على مستوى الحقائق، فاعتبرت الدماغ أداة طبيعية والعرفنة وظيفة في ضمان الكائن الحي المعرفن في بيئته، ولهذا اتسعت دائرة العرفنة لتشمل موقع الحسد في العالم، فتحوّلت العناية من رصيد الأنشطة الذهنية إلى ممارسة المهارة والملكات العرفانية في عالم الأشياء والواقع³⁵، فكل هذه الممارسات والتوجهات جعلت العرفانية تأخذ حيزا كبيرا على مستوى المنظومة اللغوية وارتباطاتها داخل النظام الألسني والحوسبي، وتسعى لهدف واحد وهو معالجة المعلومة على مستوى العقل والدماغ.

مجمل العمليات الحوسبية «محكومة بشرط التضمّن، وهو شرط ضروري في جميع اللغات حيث كل بنية تنشؤها الحوسبة تتضمن عناصر موجودة مسبقا في الوحدات المعجمية التي انتقيت ولا يضاف إليها أي عنصر جديد خلال الحوسبة منذ إعادة توزيع الخصائص المعجمية، وإن حدث أن حذفنا وحدة معجمية فمعناها كونها غير مرئية في مستوى التصافح»³⁶، فلا بد من التعامل الجيد مع قوانين البرمجة اللغوية الحاسوبية لكي تكون العملية ناجحة من الناحية التفسيرية والاحصائية في جميع الأطر العرفانية.

يمكن القول بأن «النظام الحوسبي نفسه غير متنوع (أساسا)، ومثبّت عن طريق الإعداد الإحيائي الفطري، حيث تقتصر التنوعات بين اللغات وأنواع اللغات على بعض الخيارات المعجمية وهي خيارات محدودة إلى حد بعيد، وربما تؤدي بعض التغيرات في نظام معقد ما إلى ما يبدو كأنه اختلافات ظاهرية مثيرة، لهذا تبدو اللغات كأنها تختلف جذريا عن بعضها البعض، مع أنها لا تختلف إلا بطرق هامشية جدا»³⁷، ومنه فإن جميع العمليات اللغوية التي تجري على مستوى الدماغ يترجمها النظام الحوسبي بطريقة معقدة تتصف بالغموض ولكنها ناجحة بكل المقاييس،

وهو ما أدى إلى الكثير من اللغط من ناحية تقبلها وفهمها ومواكبة التطور الحاصل على مستوى المنظومة اللغوية العرفانية الحديثة.

وبهذه المنظومة العرفانية «تتلخص هذه الثورة الجديدة للعلوم في كون البحث العلمي في المجال الإدراكي انتقل من الاهتمام بالسلوك والمواقف إلى الاهتمام بالآليات التي تتحكم في العقل والفعل وأصبحت هذه الآليات مصدرا للمعلومات القادرة على امدادنا بالمعرفة الأقرب للحقيقة».³⁸

خاتمة:

نستخلص من هذا كله أن مختلف المفاهيم المتعلقة باللغة الباطنية والتفكير اللغوي والتصورات الذهنية والإدراكية للإنسان، ومركزية التركيب والاشتقاق، والملكة اللغوية والمدلولات والتقطيع والاستدلال، والمعرفة العقلانية والنظرية النفسية، والآلات الصورية والنظام الحوسبي شكلت أهم مباحث اللسانيات العرفانية، وقومتها تقويما شاملا لتكون فاعلة في صميم البحث اللغوي الحديث.

في النهاية نذكر أهم النتائج المتعلقة بالمقال:

- ارتبط مفهوم العرفانية باشتغال الذهن والذكاء وارتباطها باللسانيات الإدراكية والتصورات العقلية ومختلف الاختصاصات.
- تقوم الفضاءات الذهنية -باعتبارها طرحا معرفيا- بذلك الدور الذي تقوم به العوالم الممكنة ذات الزعة المنطقية العلمية.
- التعبير عن الأفكار والأحاسيس التي يعطيها أو يرافقها شيء حاجة تشمل التفاهم الاجتماعي، قياسا على ما نراه ونعرفه داخل النظام العرفاني.
- الملكة اللغوية داخل التصور الذهني الدماغى بتعقيدها وتجردها تطبقها اللسانيات داخل الأنظمة العرفانية لتحديد طبيعة كل القواعد على مستويات اللغة.
- مفهوم البنى المعرفية يتشابه مع مصطلح المدلول أو المدلولات، ويقع ضبط خصائص هذه الأبنية، بالاعتماد على المجالات العرفانية.
- لتحقيق كل المبادئ العرفانية لابد من تثبيت هذه المفاهيم كلها بالنظام الحوسبي، حيث يتضمن هذا المشروع توحيد اللغة الإنسانية بطريقة علمية رياضية في مختلف السياقات العرفانية.

الإحالات:

- ¹ ينظر الملاح امحمد، علوي حافظ إسماعيل، 1437هـ-2017، اللسانيات التوليدية، من نظرية العمل والربط إلى البرنامج الأدنوي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، ج3، ص 09.
- ² بن غربية عبد الجبار، 2010، مدخل إلى النحو العرفي (نظرية رونالد لانقاكر)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، منوبة-تونس، ط1، ص07.
- ³ الصفاقصي منانة حمزة، 2015، الدلالة العرفانية وتراجع دور التركيب، الأعراب في إنتاج الكلام وتأويله، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية-السعودية، العدد 2، ص 86.
- ⁴ الزناد الأزهر، 2019، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، تونس، (د ط)، ص15.
- ⁵ محمد طعمة عبد الرحمان، 2019-1441، البعد الذهني في اللسانيات العرفانية، مدخل مفاهيمي، من كتاب: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، تحرير صابر الحباشة، تأليف عبد الرحمان محمد طعمة، الحبيب المقدميني، عفاف موقو، صابر الحباشة، عمر بن دحمان، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض-السعودية، ط1، ص 19.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 20.
- ⁷ ميشال زكريا، 1407هـ-1986، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية والألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، ص 23.
- ⁸ جيمس وليام، 2008، البراغماتية، تر: محمد على العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، (د ط)، ص 369-370.
- ⁹ نرليش بريجيت وكلارك ديفيد، 2017، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، نقله عن الإنجليزية: حافظ إسماعيل العلوي، مجلة أنساق، مجلة دولية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم -قطر، المجلد الأول، العدد الأول، ص 285.
- ¹⁰ جاكندوف ر، تشمسكي ن، فندلر ر، 2007، دلالة اللغة وتصميمها، تر: محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد جحفة، دار تيقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص17.
- ¹¹ الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص 08.
- ¹² لايكوف جورج وجونسن مارك، 2009، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار تيقال للنشر، ط1، ص 09.
- ¹³ البعمراني محمد الصالح، 2009، دراسة تطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، ص 13-14.
- ¹⁴ جاكندوف راي، 2010، علم الدلالة والعرفانية، مراجعة مختار كريم، دار كليشتاستنارا، تونس، (د ط)، ص 08.
- ¹⁵ علوية نعيمة، 1406هـ-1986، بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، ص 10.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 14.
- ¹⁷ الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص 09.
- ¹⁸ جاكندوف ر، تشمسكي ن، فندلر ر، دلالة اللغة وتصميمها، ص 16.
- ¹⁹ جحفة عبد المجيد، 2000، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار تيقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط1، ص96.
- ²⁰ ينظر أحمد سليمان عطية، 2019، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية-عصبية-عرفانية)، أستاذ العلوم اللغوية، آداب السويس، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة-مصر، (د ط)، ص 323.
- ²¹ ينظر الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص 43.
- ²² غلفان مصطفى بمشاركة: الملاح أمحمد، علوي حافظ إسماعيل، 1431هـ-2010، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط1، ص196.
- ²³ جاكندوف راي، علم الدلالة والعرفانية، ص 54.
- ²⁴ بن غربية عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفي (نظرية رونالد لانقاكر)، ص 45.
- ²⁵ جاكندوف راي، علم الدلالة والعرفانية، ص 54.
- ²⁶ الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص 54.
- ²⁷ باقر مرتضى جواد، 2012، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، (د ط)، ص19.
- ²⁸ الملاح امحمد، علوي حافظ إسماعيل، 2009، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، ص 92.

- ²⁹ الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص 45.
- ³⁰ رجاكندوفاي، علم الدلالة والعرفانية، ص 54.
- ³¹ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 39.
- ³² بن غربية عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفني (نظرية رونالد لانفاكر)، ص 75.
- ³³ المرجع نفسه، ص 76.
- ³⁴ ينظر سليمان أحمد عطية، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية-عصبية-عرفانية)، ص 327.
- ³⁵ ينظر المرجع نفسه، ص 328.
- ³⁶ المرجع نفسه، ص 60.
- ³⁷ نعوم تشمسكي، 2000، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، تر: حمزة بن قبلان المزيبي، دار نشر جامعة كمبرج، القاهرة-مصر، (د ط)، ص 167.
- ³⁸ غلفان مصطفى بمشاركة: الملائح أحمد، علوي حافظ اسماعيل، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، ص 209.

المراجع:

- أحمد سليمان عطية، 2019، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية-عصبية-عرفانية)، أستاذ العلوم اللغوية، آداب السويس، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة-مصر، (د ط).
- باقر مرتضى جواد، 2012، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، (د ط).
- البعمراني محمد الصالح، 2009، دراسة تطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط 1.
- بن غربية عبد الجبار، 2010، مدخل إلى النحو العرفني (نظرية رونالد لانفاكر)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، منوبة-تونس، ط 1.
- جاكندوف ر، تشمسكي ن، فندلر ر، 2007، دلالة اللغة وتصميمها، تر: محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد جحفة، دار تيقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1.
- جاكندوف راي، 2010، علم الدلالة والعرفانية، مراجعة مختار كريم، دار كليشتاستنارا، تونس، (د ط).
- جحفة عبد المجيد، 2000، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار تيقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط 1.
- الزناد الأزهر، 2019، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، تونس، (د ط).
- الصفاقصي منانة حمزة، 2015، الدلالة العرفانية وتراجع دور التركيب، الأعراب في إنتاج الكلام وتأويله، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية-السعودية، العدد 2.
- علوية نعيمة، 1986 هـ 1406، بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 2.
- غلفان مصطفى بمشاركة: الملائح أحمد، علوي حافظ اسماعيل، 2010-1431 هـ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط 1.
- لايكوف جورج وجونسن مارك، 2009، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار تيقال للنشر، ط 1.
- محمد طعمة عبد الرحمان، 2019-1441، البعد الذهني في اللسانيات العرفانية، مدخل مفاهيمي، من كتاب: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، تحرير صابر الحباشة، تأليف عبد الرحمان محمد طعمة، الحبيب المقدومي، عفاف موقو، صابر الحباشة، عمر بن دحمان، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض-السعودية، ط 1.
- الملائح احمد، علوي حافظ اسماعيل، 2017-1437 هـ، اللسانيات التوليدية، من نظرية العمل والربط إلى البرنامج الأدنى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، ج 3.
- الملائح احمد، علوي حافظ اسماعيل، 2009، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط 1.
- ميشال زكريا، 1986-1407 هـ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية والألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 2.
- جيمس وليام، 2008، البراغمية، تر: محمد على العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، (د ط).

- نرليش بريجيت وكلارك ديفيد، 2017، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، نقله عن الإنجليزية: حافظ إسماعيل العلوي، مجلة أنساق، مجلة دولية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم - قطر، المجلد الأول، العدد الأول.
- نعوم تشومسكي، 2000، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، تر: حمزة بن قبلان المزيبي، دار نشر جامعة كمبردج، القاهرة-مصر، (د ط).